الاتصال الجماهيري (صحف، مجلات، كتب، تلفزيون، اذاعة، الخ) في التعرف على الصورة الفلسطينية في العالم الغربي، أو اي مجتمع آخر يمكن أن يكون موضع اهتمام.

وقد تكون المناهج والاساليب المطروحة لدراسة الصورة القومية ذات اهمية بالغة في الاقتراب من الصورة بقدر من العلمية، غير ان محاولة تطبيقها على «الفلسطينيين» في مواجهة «الغرب» قد تحمل نوعاً من المبالغة. والمتصور انه حتى يتم ذلك، فان اسئلة معينة يجب ان تثار، ومنها : هل توجد صورة قومية خاصة بالفلسطينيين، اذا ادركنا وجود صورة قومية للعرب عموماً ؟ وماذا نقصد بالغرب ؟ وما هي مبررات الاهتمام بالصورة الفلسطينية هناك ؟

فيما يتعلق بالسؤال الاول حول وجود الصورة الفلسطينية، يمكن القول ان الاقرب الى الصواب هو اللجوء الى الطريقة التي حلّت بها هذه الاشكالية بالمنهج العلمي . فقد رأى الباحثون ان وجود شخصية عربية عامة (وبالتالي صورة عربية) لا يمنع وجود فروق واضحة بين شعب عربي وشعب عربي آخر، انطلاقاً من ان هناك «قيماً حضارية مشتركة» تؤثر في السلوك الاجتماعي للشعوب العربية جمعاء، مع وجود «انماط فرعية» لهذا السلوك لدى كل شعب عربي على حده.

وبعبارة أخرى، يلاحظ ان التاريخ الاجتماعي لكل قطر عربي من شأنه ان يكتسب ملامح الشخصية القومية (ومن ثم الصورة القومية)، ومنها سمات منفردة قد لا توجد في مجتمعات عربية أخرى[٣]. لقد تأكد هذا القول في الدراسات القليلة التي تناولت هذا الموضوع. وظهر، مثلاً، أن الصحافة الاميركية تنظر الى الصورة العربية من منظار تعددي؛ فهناك صورة عربية، وصورة مصرية، وصورة فلسطينية؛ ومن ثمّ لنا ان نفترض وجود صور فرعية أخرى لليمن، او الجزائر، او ليبيا، الخ.

في العام ١٩٦٧، ظهر ان السمات الغالبة على الصورة العربية في الصحافة الاميركية ان العربي يشعر بالدونية، ويميل الى المبالغة، ومتعصب، ورومانتيكي يبالغ في تقدير ذاته، ويكذب، وفاقد الثقة بنفسه، بينما ظهر المصري كخاضع وجبان وسلطوي ووطني . اما الفلسطيني، فقد حملت صورته ملامح الارهاب والتدين والشجاعة[٤].

ولكن، اذا بررنا الحديث عن وجود الصورة الفلسطينية بأنها نمط فرعي للصورة العربية، فكيف نبرر الحديث عن الغرب كعالم واحد؟ وما هي حدود هذا الغرب الذي نسعى الى بحث الصورة الفلسطينية في اطاره؟ هل الغرب مفهوم جغرافي ؟ ام سياسي ؟ ام ايديولوجي وقيمي ؟ هل هو مفهوم جنسي (يخص عالم البيض) ؟ ام انه مفهوم استراتيجي (يضم الدول الاطلسية الرأسمالية) ؟

لا شك في ان مفهوم «الغرب» يتحدد بكل هذه الابعاد مجتمعة . وبذلك تضحي كل من اوروبا الغربية والولايات المتحدة اساساً (معهما كندا واستراليا) ضمن مفهوم الغرب . ثمة اطار من الفكر والتجربة التاريخية والايديولوجية في عالم السياسة والاقتصاد والاستراتيجيا والامن يحتوي هذا الغرب في اوروبا الغربية . اما الولايات المتحدة، فان البعض يعتبرها قوة اوروبية في التحليل الاخير[٥]. ومجمل القول، ان وجود فروقات في الطموحات بين بعض الدول في الاطار السابق لا يحمل على القول بوجود تناقضات في منهج العمل والصور التي يتبناها هذا «الغرب» تجاه عالم، او عوالم، الآخرين، والفلسطينيون منهم.

المحددات والمضمون

مما لاشك فيه ان صورة العرب تعكس ذاتها على الصورة الفلسطينية في الغرب، وذلك بناء